(( طوبى للغرباء ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : <https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

الأولى

طوبى للغرباء ..

«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» رواه مسلم من حديث أبي هريرة .

بدأ الإسلام غريبا يوم بعث رسول الله في بيئة قد أصيبت بفساد في عقيدتها، وأخلاقها، ومبادئها،

بعث النبي فرأى عاصفة من الشبهات والشهوات والشرك والظلم..

رأى معاقرة الخمور، والخلاعة والفجور ..

رأى القسوة إلى حدِّ الوأد، وقتل الأولاد ..

رأى الأمم قطعاناً من الغنم ليس لها راع ..

رأى الناس يعيشون في ضلالة عمياء وجاهلية جهلاء .

وقام رسول الله عَلَى الصَّفَا لينقذ الأمة من ضلالها وجهلها وشركها فَجَعَلَ يُنَادِي قُرَيْشاً قبيلة قبيلة - فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: 2] .

فقامت الحرب والمعركة بين الرسول وأصحابه من جانب وبين الكفر بجميع ملله من جانب آخر .

وتعرض الرسول وأصحابه لأشدّ أنواع الغربة والأذى ، فأمّا رسول الله فاتهم بالكذب والسحر ، والكهانة ، والجنون. والطرد والإبعاد

فإن دعاهم إلى عبادة الله وحده ، قالوا : ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ ص: ٥

وإذا أنذرهم بطشة يوم البعث والحشر ، قالوا :

ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ ق: ٣

وإذا خوفهم بعذاب الله قالوا : ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ الأنفال: ٣٢

فنسبوا له حربَ العداوةِ ، وَرَمَوْهُ بِسِهَامِ الْقَطِيعَةِ، وَصَارَ أَهْلُ السلم كلهم حرباً عليه وعاد الْوَلِيُّ الْحَمِيمُ عَلَيْهِ كَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ ، فَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ نَسَبًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْ مُوَالَاتِهِ، وَأَلْصَقُهُمْ بِهِ رَحِمًا، كَانَ أَقْسَى قَلْبًا عَلَيْهِ، فَأَيُّ غُرْبَةٍ تُوَازِي هَذِهِ الْغُرْبَةَ؟

«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» رواه مسلم من حديث أبي هريرة .

بدأت الغربة عندما سمع النبي ورقة بن نوفل في ساعات الوحي الأولى وهو يقول له : يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ » رواه البخاري .

بدأت الغربة يوم كان النَّبِيَّ يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلاَنٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى القَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ، فَوضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، يقول عبدالله بن مسعود راوي الحديث وَأَنَا أَنْظُرُ لاَ أُغْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ سَاجِدٌ لاَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ . رواه البخاري .

«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»

غربة يوم خرج رسول الله إلى الطائف يعرض دعوته فلم يجد آذانا تسمع، ولا قلوبا تعي، بل رجع مطرودا تسيل الدماء من قدميه، يتطاول عليه سفهاء الطائف وصبيانهم يرمونه بالحجارة؛ فيركن إلى ظل شجرة وقد بلغ من الحزن والأسف ما بلغ ويناجي ربه إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي .

بدأت الغربة يوم كان النبي يمرّ على آل ياسر، وهم يتجرعون ألواناً من العذاب فيقول: صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ " .

بدأ الدين غريباً يوم كان بلال يقيّد بالحديد، ويجلد بالسياط، ويجرّد من ثيابه، ويخرج به في حرّ الظهيرة ، حين صارت رمال مكة ناراً، وبلال يذوق ألواناً من الأذى والعذاب ويردّد : [[ أحدٌ ، أحدٌ ]]

بدأ الدين غريباً يوم كان الصحابة يخفون إسلامهم ويتوارون بصلاتهم وعبادتهم ، بل تواصل المشركون على سفك دمائهم ، والتنكيل بالمستضعفين من المؤمنين حتى قال خباب : أَتَيْتُ النَّبِيَّ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» رواه البخاري .

غربة شديدة لاقى رسول الله وأصحابه فيها البأساء والضراء، فصور القرآن حالهم فقال سبحانه : ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ البقرة: ٢١٤

ودقّت طبول الحرب على الدعوة ودعاتها، وكشّرت قريش عن أنيابها على هؤلاء الغرباء وبذلت النفوس والمهج، وفتحت أبواب الهجرة، وفر الناس بدينهم، وهاجروا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله، فهاجر من هاجر ، وعذّب من عذّب ، وقتل من قتل ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ يوسف: ١١٠ نصر الله دينه، وأعلى كلمته، وأقيمت دولة الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ودخل رسول الله مكة فاتحاً وحطم الأصنام ، ومزّق الأوثان ، فقد

ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ، وحان وقت الصلاة وإذا بالنبي يقول: "أين بلال؟" الله أكبر أين بلال ؟ "

أين من كان بالأمس غريباً مع الغرباء ؟

فقال بلال : لبيك يا رسول الله ، فقال رسول الله : اصعد على الكعبة وأذّن للصلاة ، فتقدم بلال بعزّة الإسلام ونور الإيمان ، وصعد على الكعبة ونادى في يوم الفتح الأكبر بأعلى صوته : الله أكبر .. الله أكبر .

انتصر الغرباء ، ذهبت أيام المحن والبلاء ، وحلّت ساعات المنح والعطاء

ولم يمت إلا بعد ما أقر الله عينه بنصر الإسلام وتمكينه ، فزالت الغربة ، ومكّن الله تعالى لدينه ، وعلت راية الإسلام على السند والهند وفي البر والبحر .

ثم مكر الشيطان وأعوانه من الإنس والجن مكرا كبارا ، وألقى بأسه على المسلمين ، فزيّن لهم الشهوات ، وفتنة الشبهات وبدأت الغربة الثانية تعود رويداً رويدا ، فظهرت الفتن والمحن، وصار الناس شيعًا، وكفر الناس بعضهم بعضًا ، واستحل المسلم دم أخيه المسلم ، وأصبح الناس أعداءً وأحزابًا بعد أن كانوا إخوانًا، فصدق حديث من لا ينطق عن الهوى وهو يقول : «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» رواه أبو داود وصححه الألباني في السلسلة . وفي رواية كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» . فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هِيَ؟ قَالَ: «الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» .

فجاءت غربة التوحيد والعقيدة، وغربة السنة والبدعة، وجاءت فتنة الشهوات بخيلها ورجلها ، وهذا وربّ الكعبة ما كان يخشاه نبينا على أمّته فقد قال : «إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلَّاتِ الْفِتَنِ» رواه أحمد وصححه الألباني في الترغيب والترهيب .

وها هي الشهوات ترفرف على رؤوسنا بتقنية لا يعرف لها مثيل فغزت القلوب والعقول والبيوت، وبسطت الدنيا متاعها وزينتها ، فزلّت أقدام بعد رسوخها ، ولبّس الحق بالباطل ، وسميت المسميات بغير اسمها فالحق باطلا، والمعروف منكرا ، والنصيحة فضيحة ، والجاهل عالم ، والربا فوائد ، والغناء فن ، والتمثيل بطولة ، والزنا علاقة ودّية ، والخمر مشروبات روحية ، والكذب دبلوماسية ، والنفاق مجاملة ، والرشوة هدية ، ورفعت رايات الكفر والنفاق ، وبلغت روح العلم والإيمان إلى التراق ، وقيل من راق ، وظن أنه الفراق .

ورحم الله الشيخ / سليمان بن سحمان يوم قال :

عَلَى الدِّينِ فَلْيَبْكِ ذَوُو الْعِلْمِ وَالْهُدَى فَقَدْ طُمِسَتْ أَعْلامُهُ فِي الْعَوَالِمِ

وَقَدْ صَارَ إقْبَالُ الْـوَرَى وَاحْتِيَالُهُمْ عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا وَجَمْعِ الدَّرَاهِمِ

إذَا انْتُقِصَ الإنْسَانُ مِنْـهَا بِمَا عَسَى يَكُونُ لَـهُ ذُخْرًا أَتَى بِالْعَظَائِـمِ

وَأَبْدَى أَعَاجِيبًا مِنَ الْحُزْنِ وَالأَسَـى عَلَى قِلّـَةِ الأَنْصَارِ مِنْ كُلِّ حَازِمِ

فَأَمَّا عَلَى الدِّينِ الْحَنِيـفِيِّ وَالْهُدَى وَمِـلَّةِ إبْرَاهِـيمَ ذَاتِ الدَّعَائِـمِ

فَلَيْسَ عَلَيْهَا وَالَّذِي فَلَـقَ النَّوَى مِنَ النّـَاسِ مِنْ بَاكٍ وَآسٍ وَنَادِمِ

وَقَدْ دَرَسَتْ مِنْهَا الْمَعَالِمُ بَلْ عَفَتْ وَلَمْ يَبْقَ إلاَّ الإِسْمُ بَيْنَ الْعـَوَالِمِ

فَنَشْكُو إلَى اللهِ الْقُلُوبَ الَّتِي قَسَتْ وَرَانَ عَلَيْـهَا كَسْـبُ تِلْكَ الْمَآثِمِ

فَيَا مِحْنَةَ الإسْلامِ مِنْ كُلِّ جَاهِلٍ وَيَا قِلّـَةَ الأَنْصَارِ مِنْ كُلِّ عَالِمِ

وَهَذَا أَوَانُ الصَّبْرِ إنْ كُنْتَ حَازِمًا عَلَى الدِّينِ فَاصْبِرْ صَبْرَ أَهْلِ الْعَزَائِمِ

فَمَـنْ يَتَمَسَّكْ بِالْحَنِـيفِيَّةِ الَّتِي أَتَـتْنَا عَنِ الْمَعْصُومِ صَفْوَةِ آدَمِ

لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ امْرَأً مِنْ ذَوِي الْهُدَى مِنَ الصَّحْبِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الأَكَارِمِ

وَصَلِّ عَلَى الْمَعْصُومِ وَالآلِ كُلِّهِمْ وَأَصْحَابِهِ أَهْـلِ التُّقَى وَالْمَكَارِمِ

وستنكشف هذه الكربة الثانية بحول الله تعالى ولكن بالإيمان والأخوة الصادقة والصبر والولاء والبراء والسبل التي انكشفت بها الغربة الأولى .

«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» .

الغرباء «الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ» رواه الطبراني في المعجم وصححه الألباني .

الغُرَبَاءِ «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ»

الغرباء «أُنَاسٌ صَالِحُونَ، فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ» رواه أحمد وصححه الألباني في الترغيب والترهيب .

فهذَا زَمَانُ الصَّبْرِ مَنْ لَكَ بِالَّتِي كَقَبْضٍ عَلَى جَمْرٍ فَتَنْجُو مِنَ الْبَلاَ

وفي سنن أبي داود من حديث ثعلبة الخشني يقول :

فإنَّ من ورائِكم أيامَ الصبر، الصبرُ فيهن مثلُ قبضٍ على الجَمْر، للعامل فيهن مثلُ أجر خمسينَ رجلاً يعملون مثلَ عمله" قال: يا رسول الله: أجرُ خمسين منهم؟ قال: "أجرُ خمسين منكم" . رواه أبو داود وصححه الألباني .

قال ابن القيم ~ : (وهذا الأجر العظيم إنما هو لغربته بين الناس والتمسك بالسنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم ، فَهُوَ غَرِيبٌ فِي دِينِهِ لِفَسَادِ أَدْيَانِهِمْ، غَرِيبٌ فِي تَمَسُّكِهِ بِالسُّنَّةِ لِتَمَسُّكِهِمْ بِالْبِدَعِ، غَرِيبٌ فِي اعْتِقَادِهِ لِفَسَادِ عَقَائِدِهِمْ، غَرِيبٌ فِي صِلَاتِهِ لِسُوءِ صِلَاتِهِمْ، غَرِيبٌ فِي طَرِيقِهِ لِضَلَالِ وَفَسَادِ طُرُقِهِمْ، غَرِيبٌ فِي نِسْبَتِهِ لِمُخَالَفَةِ نَسَبِهِمْ، غَرِيبٌ فِي مُعَاشَرَتِهِ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ يُعَاشِرُهُمْ عَلَى مَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ؛ وَبِالْجُمْلَةِ: فَهُوَ غَرِيبٌ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ) .

وما هي إلا أنفاس معدودة وساعات محدودة ، وتنكشف الغربة عن الغرباء يوم يقال لهم : ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ النحل: ٣٢

وَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ

وَلَكِنَّنَا سَبْيُ الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَى نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلَّمُ

وَأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا الَّتِي لَهَا أَضْحَتِ الْأَعَدَاءُ فِينَا تَحَكَّمُ

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْغَرِيبَ إِذَا نَأَى وَشَطَّتْ بِهِ أَوْطَانُهُ لَيْسَ يَنْعَمُ

فَمِنْ أَجْلِ ذَا لَا يَنْعَمُ الْعَبْدُ سَاعَةً مِنَ الْعُمْرِ إِلَّا بَعْدَ مَا يَتَأَلَّمُ

الثانية

مضى أسبوع على ليلة الحزم، وليلة العز والشرف، التي طارت ركابها من بلاد الحرمين الشريفين إلى أرض الحكمة والإيمان على الشرذمة الحوثيين الذين عاثوا في الأرض فساداً وإفسادًا ، تحت شعارِ: الثورةِ الشعبيةِ، والموتِ لأمريكا وإسرائيل!! رضوا بأن يكونوا مخلباً لإيرانَ تنفُذُ من خلالِهِ إلى مهدِ العروبةِ، فو الله ليس ثمة دولة في هذا العالم يتميز الشيعة منها غيظا وحنقًا، كما يتغيظون من السعودية، فتمسكوا بها يا أهل السنة ، وذبوا عنها وعن مقدساتها وعلمائها وولاة أمرها ، ولا ننسى الدعاء لأبطال هذه العاصفة بأن يعجل الله بنصرهم ، ويثبت أقدامهم ، ويسدّد سهامهم فقد انطلق جنودنا الأباسل في الجوّ والبحر والبر يرجون إحدى الحسنيين ، وحالهم :

أمشي على جمر المخاطر حافيا وتــثــور أشواقي فأكتم مـابــيـا

من اجل ديني قد هجرت دياريــا وتركت أهلي في البــلاد بواكيــا

حب الجهــاد سرى بكل جوارحي أرخصت في درب الجهــاد دمائيا

أمــــاه قــد عـــز الـلـقـاء تصبري مــاكــان قــلـبـي يا حبيبتي جافيا

لــكــن مــثــلــي لا يــقـر قراره والــجرح في جسد العقيدة داميا

أمــــاه دمــعـــي قـد تحدر جاريا لاتــحــسـبـي أنــي تركتك جافيا

لــكــن مــثــلــي لايــقـــر قـراره والجرح في جسد العقيدة داميا

تــتــعـثـر الـكـلمات حين أصوغها قد حار في وصف الحنين لسانيا

كــيف السبيل إلى الرجوع وديننا يلقى الهوان فكيف أنسى ثأريا

إخــوانــنــا قــد قــتلوا قد شردوا أأغـض طرفي عنهمُ متناسيا؟!

لا والذي خلق الســموات العــلا هــذا الــذي لا يـرتــضـيه إبائيا

أقــســمـت إما أن أعيش بعزتي بكرامتي أو أن تدق عظامــيــا

أمــاه طــلــقــت الــحــيــاة ثلاثة وتطلعت نفسي لتسمو عاليــا

قد عفت دنيايا البغيضة بعتــهـــا وتركـتهــا لـم الــتـفـت ورائيا

سأظل في هذي الحياة مجاهداً وأظل امضي في طريقي راضيا